تدبر سورة القصص

المحاضرة:1

التعريف بالسورة

سورة القصص سورة مكية، مليئة بالإيمانيات العالية، والقصص والصراعات، والكلام عن العقيدة، والكلام عن تثبيت القلوب، وهذه من خصائص السور المكية.

السورة تعرض قصة موسى عليه السلام في مشاهد، منها:

- مشهد الطفولة والرضاعة، وقصر فرعون.
- مشهد قتله رجلًا خطأً؛ وما بعد ذلك.
- مشهد إقامته في مدين، وزواجه من إحدى ابنتي الرجل الصالح.
- مشهد عودته إلى أرض مصر مرة أخرى.
- مشهد تكليم الله تعالى له، وتأتي في أثناء السورة مواعظ، وعبر، وفوائد، وثمرات.

وتُختَم السورة بذكر قصة قارون، ثم ببيان عاقبة أهل الإيمان وأهل الفساد والكبر.

الحكمة من قصص الأنبياء في القرآن:

تثبيت قلب النبيﷺ ومواساته:

بما لقيه الأنبياء قبله من أذى أقوامهم، فترشده إلى كيفية التعامل، وتؤكد له أن ما يلقاه قد لقيه الرسل من قبله، فيزداد صبرًا وثباتًا. قال ﷺ: «رحم الله أخي موسى، لقد أوذي أكثر من ذلك فصبر».

سبب في ثبات الصحابة؛ لأنها:

- تعلِّمهم كيف يواجهون الابتلاءات بالصبر والثبات.
- تحذرهم من أخطاء الأمم السابقة حتى لا يقعوا فيها.
- تزيد يقينهم بأن الطريق مليء بالابتلاء، وأن العاقبة لأهل الإيمان.

تكررت قصة موسى عليه السلام

وذلك لما بينها وبين قصة النبيﷺ من تشابه كبير.

فموسى عليه السلام هو أكثر الأنبياء شبهًا بالنبي ﷺ في أحداث الدعوة والابتلاء، ومواجهة الطغاة، والتعامل مع الأمة

من وجوه فضل الله على أمة محمد ﷺ

موقف موسى بطلب تخفيف الصلاة عندما فُرضت الصلاة أولًا خمسين صلاة في اليوم والليلة، أشار موسى عليه السلام على النبيﷺ أن يسأل ربه التخفيف، حتى صارت خمس صلوات في العمل، وخمسين في الأجر.

وهذا من فضل الله على هذه الأمة.

أوجه التشابه بين موسى عليه السلام والنبيﷺ :

1- عِظَم الأمة:

فلكلٍّ منهما أمة كبيرة، وقد تعامل موسى مع اختلاف طبائع قومه، وتنوع أهوائهم، وكثرة مشكلاتهم وصراعاتهم، وتحمل أذاهم وصبر عليهم.

2- تشريع الجهاد:

فكلاهما كُلِّف بالجهاد؛ وقبل موسى عليه السلام لم يكن الجهاد مشروعًا، فلم يكن الأنبياء يقاتلون مع أقوامهم، وإنما كانت سنة الله في الأمم المكذبة أن يهلكها مباشرة.

3-مواجهة الطغاة:

كان في قصة موسى من صور مواجهة الطغيان والصبر على الأذى ما يثبّت النبي ﷺ ويعينه على مواجهة قومه والرد على الشبهات.

4- التشابه بين التوراة والقرآن:

التوراة هي أقرب الكتب إلى القرآن من حيث المحتوى، ومن حيث الشمول، مع الإيمان بأن التوراة التي أنزلها الله على موسى حق، وأن ما بأيدي الناس اليوم قد دخله التحريف والتبديل

علاقة رسالة عيسى عليه السلام برسالة موسى عليه السلام:

جاء عيسى عليه السلام مصدقًا للتوراة ومجددًا لشريعة بني إسرائيل، ومخففًا عنهم بعض ما حُرِّم عليهم، كما قال تعالى: {وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ}. فكان سيدنا عيسى عليه السلام يتعبد بالتوراة، ومعه الإنجيل الذي اشتمل على أحكام كانت مناسبة لذلك الوقت.

لماذا قالت الجن: «من بعد موسى» ولم تقل: «من بعد عيسى»؟

ولذلك، لما سمعت الجن القرآن لأول مرة، قال الله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}.ولم يقولوا: من بعد عيسى. وذلك لأنهم قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا}، أي: كتابًا كاملًا، شاملًا، يشبه التوراة في كمالها وشمولها، ولذلك قالوا: {مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ}

١

﴿طسٓمٓ﴾

من أقوال العلماء في الحروف المقطعة:

١ من الأقوال التي نُقلت عن بعض المفسرين أنها رموز لمعانٍ معينة، كمن قال في «الر»: أنا الله أرى، وفي «الم»: أنا الله أعلم.

٢ لفت انتباه السامع: كانت اللغة جزءًا أساسيًا من حياة العرب، وكانوا شديدي الاهتمام بالكلام وأساليبه، ولهم أسواق للشعر ومنافسات في الفصاحة والبيان.

٣ إقامة التحدي وإظهار إعجاز القرآن: فهي حروف تتكون منها لغة العرب، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن، مع كونهم أهل الفصاحة والبيان.

٤ ارتباط الحروف المقطعة بذكر القرآن والكتاب: الحروف المقطعة يأتي بعدها في عدد من السور ذكر الكتاب أو القرآن وآياته، وهذا يلفت النظر إلى عظمة القرآن وإعجازه.

٢

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾

١ ﴿تِلۡكَ﴾:

اسم إشارة للبعيد، والإشارة بالبعيد هنا تتضمن معنى التعظيم ورفعة الشأن.

٢ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾

أي: الكتاب الواضح البيّن المُبيِّن للحق والهدى والأحكام والعقائد والشرائع، ولا غموض في أصوله. وهذا يختلف عما كان عليه بعض أهل الكتاب من إخفاء بعض الكتاب وتحريف اللفظ والقراءة بما يوهم أنه من الكتاب.

٣ لماذا لم يفسر النبي ﷺ القرآن كله للصحابة؟

كان الصحابة أهل لغة، وشهدوا نزول القرآن، فكانوا يفهمون كثيرًا من القرآن بلغتهم وسياقاته، مع تفاوتهم في الفهم، وكانوا يرجعون إلى النبي ﷺ فيما أشكل عليهم من معاني الآيات أو الألفاظ أو الأحكام، أو كيفية الجمع بين آيتين.ومع اتساع الفتوحات ودخول غير العرب في الإسلام وتطور الاستعمال اللغوي، ومرور الأجيال ضعفت الصلة باللغة العربية وازدادت الحاجة إلى علوم التفسير واللغة والبيان.

٣

﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾

١ ﴿مِن نَّبَإِ﴾

يفيد التبعيض؛ أي أن الله تعالى يقص على النبي ﷺ بعض خبر موسى وفرعون.والنبأ: هو الخبر العظيم.أي: من الخبر العظيم المتعلق بموسى وفرعون.

٢ ﴿بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾

أي أن القصص القرآني ينتفع به أهل الإيمان؛ تصديقًا واعتبارًا وتدبرًا. نقص عليك خبر موسى وفرعون خبرًا حقًّا ثابتًا.

٣ من خصائص السرد القرآني

قد يختصر عرض مشاهد الشر، ويُفصل في بيان العواقب والمآلات والعبر، ولا سيما ما يتعلق بنصر المؤمنين وهلاك الظالمين. ففي قصة موسى عليه السلام، عرض القرآن ظلم فرعون واستعلاءه واستضعافه لبني إسرائيل في عبارات موجزة، ثم فصل في أحداث القصة وبيّن مآلاتها، وما انتهى إليه أمر المستضعفين من النصر والتمكين، وأمر فرعون وقومه من الهلاك؛ لما في ذلك من إبراز العبرة وترسيخ معاني الإيمان والصبر واليقين بنصر الله.

٤ بداية ومكانة بني إسرائيل في مصر في عهد يوسف عليه السلام

- بدأت إقامة بني إسرائيل في مصر في عهد يوسف عليه السلام، ثم قدم يعقوب عليه السلام وأهله إلى مصر، واستقر بنو إسرائيل فيها.

كان بنو إسرائيل يحظون بمكانة ومعاملة حسنة تقديرًا ليوسف عليه السلام.كان حكام مصر في عهد يوسف عليه السلام وما بعده بفترة يحسنون إلى بني إسرائيل ويعاملونهم معاملة حسنة، فلما تغير الحكم بدأ اضطهاد بني إسرائيل، فاستعبدهم فرعون واستضعفهم وظلمهم، وكانوا أكثر الفئات تعرضًا للأذى، وكان فرعون صاحب سلطان وملك في مصر، فطغى وتجبر؛وهو الذي قال لأهل مصر عامةً: {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ}[النازعات: ٢٤]

- وفي عهد فرعون وُلد موسى عليه السلام، وكان هارون عليه السلام أكبر منه سنًّا.

٤

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾

١ ﴿عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾

أي: تجبر وطغى في الأرض الشيع: أي فرق وطوائف، أهلها: أهل مصر؛ فكان يقتل بعضهم، ويستخدم بعضهم في أعمال البناء، ويستخدم النساء في خدمة البيوت، ويقتل الأولاد.

٢ ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾

وهي بنو إسرائيل.

- في البداية كانت المحنة تتمثل في الاستضعاف والمعاملة المهينة، وكان يُقتل الرجال أحيانًا، أو أن بعضهم يموت من شدة العمل، ويُبقي على النساء للخدمة

٣ ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾

ثم جاءت المرحلة الأصعب؛وصل إلى فرعون خبر بأن غلامًا من بني إسرائيل سيكون سببًا في زوال ملكه، فأمر بقتل أبناء بني إسرائيل الذكور؛ خوفًا على حكمه. وتذكر بعض الروايات أنه كان يقتلهم عامًا ويتركهم عامًا؛ فولد هارون عليه السلام في عام لم يُقتل فيه الصبيان، بينما وُلد موسى عليه السلام في عام القتل.

{وَيَسۡتَحۡيِۦ} أي: يُبقيهن أحياء، ليخدمن، وكان يفصل النساء تمامًا عن رجالهن وأسرهن.

من وسائل الظالمين في إضعاف الأمم

٤

١ تفكيك الأسرة يُبقى على النساء للخدمة، ويُحرم الرجال من رعاية أسرهم والدفاع عنها، فيُفصل بينهم، ويُقتل الصبيان، فتتفكك الأسرة وتنهار الروابط الزوجية.

٢ إضعاف دور الرجل وتشتيت المجتمع لتحويله إلى فئات متفرقة وشيع.

٣ تقليل الإنجاب: تحجيم النسل وتمزيق النسيج الاجتماعي.

٤ إشعال الصراعات والفتن الداخلية: انشغال أبناء الأمة بالاقتتال الداخلي، مما يسهل إضعافها والسيطرة عليها.

النتيجة النهائية: أمة غارقة في صراعاتها الداخلية، تسهل السيطرة عليها واستضعافها وتفتيتها إلى طوائف وشيعٍ متفرقة.

٥

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾

١ ﴿وَنُرِيدُ﴾

نريد أن نتفضل على الذين استُضعفوا، بإن إرادة الله ستتحقق، وسيأتي النصر من حيث لا يحتسب الناس.

٢ ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾

﴿أَئِمَّةً﴾أي: يقتدى بهم.

وقد مَنَّ على بني إسرائيل؛ بما صبروا واتقوا، وأدوا ما استطاعوا، فدبر الله لهم الأمر حتى أصبحوا أئمة ووارثين.

٣ سُنَّة النصر بعد الاستضعاف

لكل ظالم نهاية، ولكل مستضعف يوم تمكين، قد يأتي النصر سريعًا، وقد يتأخر لحكمة، وقد يبتلي الله المؤمنين طويلًا، فتتحقق سنة الله في التمكين والاقتصاص، إرادة الله الكونية التي لا يستطيع أحد منعها ولا ردها. وقد بيّن القرآن أن التمكين يكون للمستضعفين إذا أخذوا بأسباب النصر، وليست أسباب النصر مقصورة على السلاح والقوة وحدها.

٤ العبادات من أسباب التمكين

"قد أوحى الله إلى موسى وهارون في ذروة الاستضعاف: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧]

"افعل ما تستطيع" هي طريق التمكين؛ فالأخذ بما يستطيع الإنسان من أسباب الخير والطاعة، والتمكين يكون بالصبر والتقوى والعمل الصالح.

أسباب التمكين للمستضعفين

إذا فقد المستضعف القوة المادية، فإن معه أسلحة عظيمة، منها:

١ الصبر واليقين والتوكل على الله وحسن الظن به.

٢ الاستعانة بالله، كما قال موسى عليه السلام لقومه.

٣ الصبر في زمن الاستضعاف سبب للوراثة والتمكين، والصبر يشمل الرضا بالله وعدم الجزع مع الثبات .

٤ العفو والصفح، لقوله تعالى: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

٥ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾

٦

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

١ ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾

﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾: ما كانوا يخافونه من زوال ملك فرعون وظهور موسى عليه السلام.

٧

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾

١ عناية الله لأم موسي

الله أعلم بخلقه، وأعلم بما في القلوب وما يعتري النفوس من خوف وحزن ولا سيما قلب الأم، وقد يكون انكسارها أشد مما ندرك.

• وتأملوا أم موسى: كانت تعلم بوعد الله أن ابنها سيرد إليها وسيكون من المرسلين، ومع ذلك كانت شديدة القلق حتى كادت أن تُبدي أمره.

• ومن عناية الله بها أنه حوّل خوفها إلى أمان، ووفّى لها بوعده فردّه إليها.

٢ دور الأم

في سياق قصة موسى عليه السلام، يبرز دور الأم في صناعة الأجيال؛ فقصة موسى التي تضمنت مواجهته لفرعون وزوال ملكه، بدأت من أمٍّ ترضع طفلها، وتعتني به وتحفظه في أصعب الظروف.

وليست كل امرأة مطالبة بأن تكون داعية أو عالمة أو أن تظهر أمام الناس؛ قد يكون دورها في صناعة من سيظهر ويؤثر في الناس.

•قد تكون أمًّا تربي عالمًا أو داعية.

•أو أختًا ترعى إخوتها وتعينهم.

•أو زوجة تهيئ لزوجها البيئة المناسبة، وتدعمه وتسنده، كما كانت خديجة رضي الله عنها مع النبيﷺ .

•وكذلك من يقف خلف الشخص الناجح من أمٍّ وزوجة وأخت وصديق وفريق، قد يكون لهم أثر أساسي في نجاحه.

٣ ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾

قد يجعل الله المحنة نفسها سببًا للفرج، فثق بالله؛ فقد يأتي الخير من حيث لا تتوقع.

٨

﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾

١

وصل التابوت إلى القصر، فتراه الجواري، ويأخذنه ويعتنين به.وقد ألقى الله عليه محبة منه، فكان محبوبًا.

٩

﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾

١ ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾

أخذ آل فرعون موسى إلى امرأة فرعون، فلما رأته أحبته حبًا شديدًا، فتعلقت به.قد يكون ما تراه نقصًا في حياتك سببًا لخير عظيم لا تدركه الآن. وكانت امرأة فرعون مؤمنة بالله، وضرب الله بها مثلًا للمؤمنين.

فتحقق رجاؤها؛ فكان موسى قرة عين لها، وكان فيه خير ونفع لها.

وهذا من حسن الظن بالله والفأل الحسن والكلمة الطيبة، وليس مما يسمى «قانون الجذب». فقد كان النبي ﷺ يحب الفأل الحسن والكلمة الطيبة.وفي الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي»

• الرواية التي تزعم أن فرعون قال: «أما لك فنعم، وأما لي فلا»، فهي من الإسرائيليات ولا تثبت.

فالعبرة ليست بأن الكلمات تجذب الأحداث، وإنما بحسن الظن بالله ودعائه والتوكل عليه مع الأخذ بالأسباب.

٢ ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾

أي: لم يشعر فرعون وآله بما سيؤول إليه أمر موسى، وأن هذا الطفل الذي التقطوه سيكون سببًا في هلاكه وزوال ملكه

٣ أثر الصالحين في تقليل الشر

.وجود الصالحين في البيئات الفاسدة سببًا في دفع الشر

كانت امرأة فرعون مؤمنة في بيت فرعون، مع كفره وطغيانه، وكان موقفها من .الأسباب التي سخّرها الله لحفظ موسى وإنقاذه

وكذلك مؤمن آل فرعون نصر الحق، ودافع عن موسى عليه السلام

وليس من اللازم أن تكون مغادرة البيئة الفاسدة هي الحل في كل حال؛ فقد يكون بقاء الإنسان فيها، إذا كان قادرًا على الثبات والتأثير ودفع الشر، سببًا في خير عظيم، وقد يكون الخروج منها أصلح في حالات أخرى، بحسب القدرة والمصلحة